

Arabic Letters between Coalition and Antagonism in the Acquisition of Arabic Language Skills

A chapter in the book *Arabic Alphabet System*. Published by the King Abdullah bin Abdul Aziz International Center for the service of Arabic Language, Saudi Arabia, 2017.

Prof. Basma A. S. Dajani

The University of Jordan/ Languages Center
bdajani@hotmail.com

This research discusses the pronunciation of letters both individually and as part of a word format, and demonstrates the difference in pronunciation of a single letter and words and the sentence. This is discussed through theoretical and practical examples drawn from learners' experiences and language performances based on the impact of linguistics in the teaching of Arabic sounds to speakers of other languages.

This research further aims to examine the teaching of writing and reading, to identify problems, to discuss solutions in the light of an applied study on a group of Arabic Language students who are not native speakers.

كتاب منظومة الحروف العربيّة

فصل

الحروف العربيّة بين الائتلاف والتنافر

في اكتساب مهارات اللغة العربيّة

مُلخّص:

في العِقد الثّاني من الألفيّة الميلاديّة الثّالثة يرسم المدّ والجزر أشكالاّ في أساليب تعلّم اللغة العربيّة وتعليمها. ونظراً للمكانة الخاصّة لمهارتي القراءة والكتابة في اكتساب العربيّة لغَةً وثقافة، وفي استيعاب مضمون الحضارة العربيّة الإسلاميّة قديماً وحديثاً، تُبذل الطاقات في البحث عن أنجع السُّبل لتعلّمهما، وفي الوصول إلى أفضل المسارات للبدء بتعليمهما. فالحروف الأبجديّة العربيّة بأصواتها وموزها الكتابيّة تمثّل مُفتاح الولوج لعالمٍ واسعٍ ينطلق فيه المتعلّم باستيعاب الكلمة.

يعرف أهلُ العربيّة والمشتغلون فيها أن الحروف العربيّة مُنظمة في مجموعات يلُمُّها الائتلاف في الشّكل أو المخرج أو الصّفة؛ فالحروف العربيّة من حيث الشّكل يُمكن جعلها في مجموعات تتقاطع إلى حدّ بعيد مع التّرتيب الألفبائي فهي (ب، ت، ث، ن، ي) (في أوّل الكلمة ووسطها)، و (ج، ح، خ) و (د، ذ) و (ر، ز) و (س، ش) و (ص، ض) و (ط، ظ) و (ع، غ) و (ف، ق). والمجموعات السّابقة مؤتلفة من جوانب ومختلفة من جانب آخر. ففي حين تبدو مُتقاربة مُتشابهة تُفرّق (النقطة والنقطتان والثلاثة) بينها بوضوح لمن رام التّدقيق، تتقاطع بعض الحروف مع غيرها من حيث النطق والمخرج إلى حدّ بعيد. مما يجعل التّمييز بينها أمراً مُلحاً لمعلّمها من أبنائها وغيرهم على حدّ سواء، ويتجلّى ذلك بالنظر إلى تلاقي المجموعات الآتية وتقاربها (أ، ع) و (س، ص) و (ح، هـ) و (ق، ك) و (ت، ط) و (د، ض) وغيرها.

إنّ الأمثلة السابقة وغيرها ممّا سيعرض لها هذا البحث ويدرّسها باستفاضة، تبدو اليوم مطلباً مهمّاً، ذلك أنّ الصّورة اللغويّة المقيّدة بالكتابة هي المطلب الأصعب الذي يكشف بجلاءً مُوثّق مدى إتقان الطّلبة للمهارات اللغويّة، وللغة بتجليات مُستوياتها الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والمعجميّة الدّلالية. ذلك أنّ أيّ قُصور في الاستيعاب أو خلط على مُستوى الإدراك، ومن ثمّ التّحليل في طريق إعادة الإنتاج سيتمثّل واضحاً في الصّورة المكتوبة لتعبير الطّالب. بل إنّ كثيراً من المشكلات في القراءة والاستماع لا تظهر إلاّ إذا طُلب إلى الطّلبة أن يعيدوا إنتاج اللغة كتابةً.

فالمواجهة بين المتعلّم واللغة تكون من خلال الكتابة بتلقّي الرّموز الكتابيّة أو صُور الحُرُوف المرتبطة بأصواتها التي تُمكنه من الرّبط التلقائي بين الصّورة والصّوت أو النّطق والرّسم أو الرّمز الكتابي. وهو ما سيؤهّله فيما بعد لاستيعاب الرّموز الكتابيّة للحُرُوف كلّها ثمّ من بعدها صُور الكلمات المكوّنة من تضام تلك الحُرُوف معاً لتُشكّل كلمات. كما أنّ آخر تحدّي يواجه الطّلبة هو إنتاج اللغة بصورتيه الشّفويّة-والمكتوبة.

وهذا البحث يُقدّم نُطق الصّوت مُفرداً مُستقلاً، ومُركّباً مع غيره في كلمة، ويُبيّن تغيّر نُطق الصّوت الواحد بتغيّر مجاوراته في الكلمة والجُملة. ويُناقش ذلك من خلال أمثلة عمليّة وتطبيقية من مُمارسات الطلبة وأدائهم اللغويّة مُعتمداً على أثر علم اللغة التّقابلي في تعليم أصوات العربيّة للناطقين بغيرها. ويأتي هذا البحث ليبحث في تعليم الكتابة والقراءة، وي طرح المشكلات، ويُناقش الحُلُول في ضوء دراسة تطبيقية على مجموعة من طلبة العربيّة للناطقين بغيرها في مركز اللغات في الجامعة الأردنيّة.

فرضيّة البحث:

الحرف وجه اللغة وأساسُ تعلّمها، ومتعلّم اللغة العربيّة لَعّة ثانية يُفاجأ بحُرُوف هذه اللغة من نواحٍ عديدة؛ ما بين أصوات بعضها المتقاربة، وأشكال كتابتها في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها، وتباين صوت الحرف الواحد حسب موقعه في الكلمة، ووفق الحركة المرافقة له، وبحسب إعرابه ضمن الكلمة في الجملة. فتمييز الحُرُوف العربيّة بين ائتلافها وتنافرها هدفٌ رئيسي لمتعلّم العربيّة لغة وثقافة لاكتساب مهارات الاستيعاب في الاستماع، والفصاحة في التحدّث، والبيان في الكتابة، والوضوح في القراءة.

أهمية البحث:

إن إتقان لغة ما يتطلب استخدام كلماتها في سياقها المرّكب في جمل، كما أن استخدام الكلمات بشكلٍ وظيفي للتواصل الهادف يتطلب إدراك مدلولاتها ومعانيها، وفهم معاني الكلمات بدقة يجب تمييز أصواتها. وتمييز الأصوات يتوقف على وضوح صورة حروفها ذهنياً ورسمياً. وعليه فإن الحرف هو الوجه الأساسي للغة، ومن أراد تعلم لغة بفكرها وثقافتها عليه التمكن من منظومة حروفها بين ائتلافها وتنافرها فيكتسب بالتالي مهارات قراءتها واستيعابها، ومن ثمّ التحدّث بها وكتابتها.

أهداف البحث:

- 1- تفسير ظاهرة ائتلاف الحروف العربيّة وتنافرها، وتوصيفها بوصفها مشكلة لغويّة تعليميّة.
- 2- التركيز على مكانة الحرف في توصيل المعنى الدلالي لفهم اللغة والتفاهم مع أبنائها.
- 3- تيسير تعليم الحروف العربيّة لمتعلّميها من الناطقين بلغاتٍ أخرى من خلال الكلمة والسّياق.
- 4- توظيف علم اللغة التّقابلي لتمكين المتعلّم من إتقان منظومة الحروف العربيّة.
- 5- توجيه مُعلّم العربيّة نحو معالجة الحروف وتقديمها.

أسئلة البحث:

- 1- ما دور الحرف في تعلّم مهارات اللغة؟
- 2- كيف يكون الائتلاف بين الحروف؟
- 3- ما تفسير التنافر بين الحروف؟
- 4- لماذا يُفسّر علم اللغة التّقابلي ظاهرة ائتلاف الحروف وتنافرها؟
- 5- ما أهمية الحركات في إبراز الحروف؟
- 6- كيف يُتقن مُتعلّم العربيّة التّمييز بين الحروف المتشابهة؟
- 7- كيف يصل مُتعلّم العربيّة لدرجة البيان في المحادثة والكتابة؟
- 8- كيف يتجنّب المتعلّم تحريف الكلم عن مواضعه؟
- 9- أي منهجيّة مُناسبة لتقديم الحروف العربيّة؟

الدراسات السابقة:

كان لعلماء الحضارة العربية الإسلامية تأثير كبير على توضيح أهمية دراسة الحروف في اللغة العربية دراسة فلسفية فكرية دلالية، فألفوا كتباً عن الحروف¹. وقد أهدت من العمق في شرح مكانة الحرف، والمدلول اللغوي لكلمة حرف، واتخذتها مرجعية فكرية منطقية في التطبيق العملي لتعليم اللغة العربية.

* قدّم مجموعة من المتخصصين المعاصرين في اللغويات واللسانيات آراءهم في ظواهر اللغة العربية الصوتية، وأجروا دراسات نظرية وميدانية في تعليم الأصوات للناطقين بغير العربية. وتبرز فائدتها من تعدد زواياها ومحاورها، وتنوع العينات بين طلاب العربية من الناطقين بلغات مختلفة، وتطبيق نظريات علم التقابل اللغوي عليها. ولعلّ من أبرز تلك الدراسات:

* كتاب " خصائص الحروف العربية ومعانيها" لحسن فضل (نُشر سنة 1998) مُنطلقاً من النظرية اللغوية الفطرية، وفكرة أن معنى الحرف العربي هو صدى صوته في الوجدان والنفس، وآخذاً بمقولة ابن جني: (سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد) (ص 6). وصنّف الحروف تبعاً للخصائص الحسية أو الشعورية الغالبة فيها، أو وفقاً لطبيعتها الصوتية الخاصة، أو حسب طريقة النطق بها. ص (50).

* وبحثٌ حول " أخطاء دارسي اللغة العربية في النطق" للأستاذ ف عبد الرحيم من خلال دراسة تقابلية في مجال الأصوات (نُشر سنة 1401 هـ)، ركّز فيه على تأثر دارس اللغة العربية بلغته الأصلية في مجال

¹ الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي (وفاته 175 هـ)، الحروف لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (وفاته 189 هـ)، الحروف يُقال إنّه للنضر بن شميل (وفاته 203 هـ)، الحروف في اللغة لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (وفاته 205 هـ)، الحروف لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (وفاته 244 هـ)، الحروف لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (وفاته 285 هـ)، الحروف للفارابي (وفاته 339 هـ) وكتابه الألفاظ، معاني الحروف لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (وفاته 339 هـ)، الحروف في اللغة لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي (وفاته 370 هـ)، الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (وفاته 384 هـ) معاني الحروف وأقسامها لأبي القاسم حسين بن الوليد بن العريف (وفاته 390 هـ) الحروف في النحو لأبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز (وفاته 412 هـ) الحروف لأبي الحسن المزني (وفاته 431 هـ) معاني الحروف لعبد الجليل بن فيروز بن الحسن الغزنوي النحوي. شرح معاني الحروف لعلي بن فضال بن علي الجاشعي (وفاته 479 هـ) الحروف لأحمد بن محمد الرازي (وفاته حوالي 631 هـ)، معرفة الفرق بين الضاد والطاء لابن الصابوني الصدفي الإشبيلي (وفاته 634 هـ).

الأصوات، واستعرض أمثلة لأخطاء الناطقين بأكثر من عشر لغات، وأوصى بأهمية معرفة المشكلات الصوتية لوضع حلول تُساعد الطلاب على مواجهة صعوبات تعلّم الأصوات العربية.

منهجية البحث:

ينطلق البحث من مكانة الحرف في فهم الكلمة، فهو وإن كان حرفاً مفرداً يُمثّل جانباً جزئياً من الكلمة، إلا أنه يؤثر في معنى المفردة تأثيراً عميقاً. فيعرض البحث لتفاعل المتعلّم مع الحرف في فهم المعنى واستيعاب مدلول الكلمة، وأهمية إتقان نطقه الصوتي بشكل واضح وسليم في مهارات الاستماع والمحادثة، ووضوح خطّه كتابةً وقراءةً. ويحتكم البحث إلى استبيانٍ يستطلع آراء الطلبة في ارتباط الحروف ببعضها البعض، وأشكال كتاباتها في الكلمة مع الضبط ودونه. كما يعتمد إلى رصد تجربة الباحثة في تعليم العربية لُغة وثقافة للناطقين باللغات الأخرى من مستويات متنوعة بين المبتدئين والمتقدمين.¹

مجتمع البحث وعيّنته:

يتكوّن مجتمع البحث من مجموعةٍ من طلبة المستوى المتقدم الذين درسوا اللغة العربية في مركز اللغات في الجامعة الأردنية في عمّان في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي 2016 / 2017. وقد بلغ عدد أفراد العيّنة خمسة وعشرين طالباً وطالبة من عشر جنسيات مختلفة؛ من اليابان، والصين، وتايوان، وأندونيسيا، وقيرغيزستان، وتركيا، وبولندا، وإيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، وإسبانيا. وقد درسوا جميعاً اللغة العربية لسنوات تتراوح بين سنتين وأكثر. وتم اختيار طلاب المستوى المتقدم لتتبع تطوّرهم في تمييز ائتلاف الحروف العربية وتنافرها من خلال ممارستهم للمهارات اللغوية مع معلّمهم في برنامج يومي مكثّف. وتقوم الباحثة بمقارنات إنتاج الطلبة المتقدمين مع إنتاج طلبة في المستوى المبتدئ والمستوى المتوسط توضح تمثّلهم للحروف العربية صوتاً وشكلاً ودلالةً.

¹ درّست الباحثة اللغة العربية وثقافتها وآدابها خلال عقدين من الزمان لأبناء اللغات الأخرى في المستويات المبتدئة والمتوسطة والمتقدمة، ولأبناء العربية في مواد متطلبات جامعية، ودراسات عليا.

الاستبانة:

تتألف الاستبانة من تسعة أسئلة عن استيعاب الحروف وتمييزها من خلال مهارات الكتابة والاستماع والقراءة، وثلاثة أسئلة للتعبير الشفوي والكتابي، وسؤال لاستخدام مفردات مؤتلفة الحروف مختلفة المعاني، وتمرين على الإملاء مع ضبط الحروف بالشكل المناسب لتمييز أصواتها بالحركة الملائمة. والهدف منها استيضاح مدى إدراك الطلبة لمكانة الحرف في معنى الكلمة، والاستفادة من آرائهم في أهمية مُلازمة الحركة للحرف كتابةً ونطقاً، وقياس استيعابهم لصوت الحرف وتأثيره في المعنى كتابياً.

دور الحرف في تعلّم مهارات اللغة:

يُمثّل الحرف تجسيداً للغة التي نتعلّمها، فهو بحدّ ذاته اللغة¹، وهو الوجه المباشر للغة²، وهو حدّها الأساسي وما يبرز منها³، وهو طرفها وجانبها الذي منه تتكوّن⁴، وهو الأداة التي تربط اسماً بآخر وبفعل لتوضيح المعنى⁵، وهو وسيلة اكتساب معنوي⁶ ومهارة في الصنعة والعلم تعود بالفائدة الماديّة على صاحبها⁷. وفعله المشدّد وسطه يعني تغيير الكلم عن مقصوده ومدلوله، كما جاء في القرآن الكريم.¹

¹ في لسان العرب: وما جاء في الحديث من قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ"، أراد بالحرف اللّغة. قال أبو عبيد وأبو العباس. نزل على سبع لغات من لغات العرب. "ومما قيل في معناها أنها سبعة أوجه من القراءة تختلف باللفظ وقد تتفق بالمعنى وإن اختلفت بالمعنى، فاختلافها من باب التنوّع والتغاير لا من باب التضاد والتعارض".

² أول ما يلتقيه المتعلم من اللغة صوتاً وشكلاً ورمزاً للتعبير بها عن مدلوله الذهني. "فالحرف منتهى الجسم. انظر وجوه الكلمة في بصائر ذوي التمييز 2 / 452، ومختصر الوجوه في اللغة للخوارزمي 29 - 30، والمنجد 178". رمضان عبد التواب، ص 146.

³ في الصحاح للجوهري: حَرْفٌ كل شيء طَرَفُهُ وشَفِيرُهُ وحُدُّهُ، ومنه حَرْفُ الجبل وهو أعلاه المُحدَّدُ.

⁴ في لسان العرب: الحَرْفُ في الأصل: الطَّرْفُ والجانبُ، وبه سمي الحَرْفُ من حروف الهجاء.

⁵ في لسان العرب: قال الأزهري: كلُّ كلمة بُيِّنَتْ أداةً عارية في الكلام لِتَفْرِقَ المعاني واسْمُها حَرْفٌ، وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل حتى وهل وبَلٌ ولعلّ.

⁶ هو من قولهم: حرف حرفاً: أي كسب.

⁷ ورد في معجم "العباب الزاخر واللباب الفاخر للصعاني" الحرفة- بالكسر-: الطعمة وهي الصناعة التي منها يرتزق. وكل ما اشتغل به الإنسان وضري به من أي أمر كان فإن العرب يسمونه صنعة وحرفة، يقولون: صنعة فلان أن يفعل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كذا، يريدون: دأبه وديدنه".

إن للحرف دلالة توافُق عليها أبناء اللغة كما قال الفارابي في كتابه "الحروف"²: " فهكذا تحدث أولاً حروف تلك الأمة وألفاظها الكائنة عن تلك الحروف. ويكون ذلك أولاً ممّن اتّفق منهم، فيتّفق أن يستعمل الواحد منهم تصويماً أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يُخاطب غيره، فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يُخاطب المنشئ الأوّل لتلك اللفظة، ويكون السامع الأوّل قد احتذى بذلك فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطئا على تلك اللفظة، فيُخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند جماعة. ثمّ كلّما حدث في ضمير إنسان منهم شيء احتاج أن يفهمه غيره ممّن يُجاوره، اخترع تصويماً فدلّ صاحبه عليه وسمعه منه فيحفظ كل واحد منهما ذلك وجعله تصويماً دالاً على ذلك الشيء..... وكما أن في المعاني معاني تبقى واحدة بعينها تتبدّل عليها أعراض تتعاقب عليها، كذلك تُجعل في الألفاظ حروف راتبة وحروف كأَنَّها أعراض متبدّلة على لفظ واحد بعينه، كل حرف يتبدّل لعرض يتبدّل، فإذا كان المعنى الواحد يثبت وتتبدّل عليه أعراض متعاقبة، جعلت العبارة بلفظ واحد يثبت ويتبدّل عليها حرف حرف، وكل حرف منها دال على تغيير تغيير"³.

¹ وردت كلمة "حرف" في الكتاب الحكيم ست مرات، أربع مرات منها بمعنى تغيير المعنى عن المدلول المراد باللفظ، ومرة بمعنى جهة ما. { مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ } (سورة النساء، الآية 46). و { فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ } (سورة المائدة الآية 13) و { وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ } (سورة المائدة الآية 41). ومرة بمعنى التحايل: { وَمَنْ يُؤْمِدْ ذُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَصَابٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس المصير } (سورة الأنفال الآية 16). { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } (سورة الحج الآية 11). أي إذا لم ير ما يجب انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبد على السراء دون الضراء. وقال الزجاج: على حرف أي على شك.

² أبو نصر الفارابي (260 - 339 هـ / 874 - 950م) الفيلسوف المعلم الثاني، يبحث في كتاب "الحروف" في أصل اللغة ونشوتها وعلاقتها بالفلسفة والملة، ويُفسّر فيه الكتاب الموسوم بالحروف لأرسطوطاليس " في ما بعد الطبيعة". ص 36، وص 173.³ واليوم نقول هذه التجربة حيث توافُق شباب الأمة العربيّة في عصر العولمة الذي نعيشه على وضع رموز لأصوات حروف في مكان بعض حروف الأبجدية العربيّة المتوارثة. وقد لجأوا في هذا التطوير للتفاعل بين اللغات والمزج بين أشكالٍ من أكثر من لغة، من أجل تيسير مهارة الكتابة - خاصة - مع انتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة. وكان الهدف من وراء ذلك -غالباً- تمييز أصوات الحروف المتشابهة في اللغة العربيّة مع ما يُتقاربا باللغة الإنجليزيّة - لغة العولمة في هذا العصر - لعدم وجود حروف تُبرز تلك الأصوات. فكانت الاستعانة بالأرقام (التي هي أرقام عربيّة أصلاً؛ من الإرث التاريخي) مثال: حرف "ء" = 2، و "ع" = 3، وحرف "خ" = 5،

وكان للعلامة اللغوي أبي الأسود الدؤلي في القرن الأول الهجري دوره في وضع علاماتٍ دلّية على حركة الألفاظ، ساعدت أبناء اللغة العربية على توضيح مخارج الحروف ولاسيما عند قراءة القرآن الكريم، فتوافقوا عليها. ثم أكمل العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي المَهَمَّة في القرن الثاني الهجري بوضع النقاط فوق الحروف مع رموز أصوات الفتحة والضمة والكسرة، وتوافق عليها أبناء اللغة إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري.

ويُثبت عدد المراجع الكبير المتوفّر في موضوع الكتابة العربية وتيسيرها ومعالجة مُشكلاتها بين أبنائها، ومُتعلّميها أن قضية الحروف وائتلافها وتنافرها ودلالاتها مُتداولة على مدار العُصور التاريخية المتتالية، فشغلت عُلماء اللغة العربية واللسانيات، وفلاسفة الحضارة العربية الإسلامية، والمستشرقين، ومدرسي اللغة العربية في مراحل التعليم الأساسية المختلفة، وأساتذة الجامعات، ومجامع اللغة العربية¹، ومُثقفي المجتمعات العربية على اختلاف تخصّصاتهم العلميّة والعملية. وقد تعدّدت الدراسات الحديثة حول الحروف العربية وتطوير أشكالها حسب أصواتها ومخارجها ما بين مؤيد للفكرة ومعارض لها. وشهد القرن العشرين كثافة في تلك الدراسات مع تداعيات الاستعمار على الوطن العربي، ودعواته الحثيثة لاستبدال الحروف اللاتينية بالعربية، وتغيير هيكلية التعليم في المؤسسات، وانتشار استخدام العاميات واللهجات بين المتعلّمين من أبناء اللغة العربية على حساب العربية الفصيحة.

مفهوم الحروف:

يُوضّح العالم الرازي² في شرحه لمعنى الحروف ومدلولها أن³ " الحروف ثلاثة أنواع: فكرية، ولفظية، وخطية. فالحروف الفكرية هي: صور روحانية، في أفكار النفوس، مُصوّرة في جواهرها قبل

وحرف "ط" = 6، وحرف "ح" = 7، وحرف "ق" = 8، وحرف "ص" = 9. وكذلك توافق بعض العرب على تمييز صوت حرف "P" بوضع ثلاث نقاط أسفل "ب"، وحرف "V" بوضع ثلاث نقاط فوق "ف".

¹ خصّص مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة مؤتمره سنة 1944 لموضوع تيسير الكتابة العربية، بعد سلسلة من الدورات منذ عام 1938.

² الرازي، أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار، أبو العباس (وفاته عام 631 هـ) الفقيه الحنفي الصوفي المفسر.

³ رمضان عبد التواب، ثلاثة كتب في الحروف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 147.

إخراجها، معانيها الألفاظ. والحروف اللفظية هي: أصوات محمولة في الهواء، مُدركة بطريق الأذنين، بالقوة السامعة. والحروف الخطية هي: نُقوش حُطّت بالأقلام في وجوه الألواح، وبُطون الطّوامير، مُدركة بالقوة الناظرة، بطريق العينين. والحروف الخطية، وُضعت ليُدلّ بها على الحروف اللفظية. والحروف اللفظية وضعت ليُدلّ بها على الحروف الفكرية، التي هي الأصل. والحروف اللفظية، إنّما هي أصوات تحدث في الحلقوم والحنكين، وفي اللسان والشففتين، عند خروج النفس من الرئة، بعد ترويحها الحرارة الغريزية التي في القلب. وهي ثمانية وعشرون في العربية، وتزيد وتنقص في سائر اللغات ".
وتنبع أهمية أصوات الكلام من أنّها تُمثّل الجانب العملي للغة. فلا يرتبط معنى الجملة بأصواتها وحروفها فقط، وإنما كذلك بطريقة إلقائها وتنغيمها. وتنوع الإيقاع ضروري للدلالة على الأوجه الكلامية المختلفة من إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجب.¹

منهجية تعلّم الحروف:

توصّل مؤلفو منهج تقديم العربية للمبتدئين في مركز اللغات بالجامعة الأردنية إلى البدء بالحروف السلسلة التي يتّضح لها مقابل صوتي في لغات عديدة،² مثل: (س، م، ب، ل، د، ت، ج، ك، ن، ف، هـ، و، ي، ش) فيتعلّمها الطالب من خلال كلمة متداولة يحتاجها في حياته اليومية، ويشاهد صورة هذه الكلمة، ويُكرّر نطقها وكتابتها بأشكالها في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها. وقد أثبتت التجربة أهمية تقديم الحركات وشرح دورها في تغيير صوت الحرف ذاته مباشرة مع بداية تقديم الحروف.³ ونحن إذ

¹ أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب، وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المدينة المنورة، جمادى الأولى 1401 هـ. ص 83، 88.

² شاركت الباحثة في تأليف أربعة كتب من منهاج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في مركز اللغات بالجامعة الأردنية منذ عام 2000م.

³ للمزيد انظر: Basma A. S. Dajani & Fatima M. A. Omari. A Critical Study of Three Textbooks for Teaching Arabic to Non-Native Speakers. Procedia- Social and Behavioral Sciences. P 477.

نتحدّث عن الحركات لا نعني بذلك الحركات التي تصدر عن نظام الإعراب ؛ وهي ضبط أواخر الكلم وفقاً لمواقعها في النظم حسب، وإنما نعني بذلك أيضاً الحركات التي توضح البنية الصرفية للكلمة وتمييزها من غيرها في السياقات اللغوية¹.

وهكذا سرعان ما يتمكن الطالب من ربط ثلاثة حروف فأربعة في كلمة مما سيستخدمها في أحاديثه اليومية. فيستشعر الطالب خلال الدرس الأول، مع التعرف إلى سبعة حروف، إنجازاً في تعلّم مهارة الكتابة وممارسة مهارة القراءة. كما يتعلّم من هذه الحروف تمييز أنواع الكلمة؛ اسم: (بلد، بنت، ولد، مجلّة، بسمة) وفعل: (كتب، فهم، جلس، لبس، ركب) وحروف المعاني: (من، في، و، ب، ل). ومن ثم يتدرّج مع الحروف الأصعب نطقاً: (ر، ز، ذ، ح، خ، ق، ث، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، أ) ويربطها قراءةً وكتابةً بكلمات مصوّرة أمامه. وهكذا يتلقّى الطالب مفردات مفيدة لمعجمه الأوّل مثل: (كلمة، جملة، دفتر، كتاب، كرسي، نقود، فندق)، ويُميّز نوعي الكلمة: مذكّر ومؤنّث، بفهم دور حرف التاء المربوطة: (مكتب، مكتبة، أستاذ، أستاذة، ملك، ملكة).

إن هذه المرحلة التمهيدية أساس تمييز الطلاب للحروف المتشابهة بأصواتها والمختلفة بأشكال كتابتها، فتقع المسؤولية الكبيرة على عاتق المعلّم الذي يجب أن يبيّن في نطق الحروف وإعطائها حقّها صوتياً² ليسير معه الطالب وفق منهجية علم الأصوات بدلالاته ومنطقيته. كما يجب تقديم أشكال رسم الحرف المتعددة بأسلوب محفّز ليتعرّف الطالب إلى فنّ الخطّ العربي ومكانته وأهميته، فلا يتفاجأ عند رؤية رسم مختلف لما قدّمه له المعلّم أو المنهاج بين يديه: مثال: (الجامعة، الجامعة) (المكتب، المكتب) (حرف السين بالنسخ أو بالرقعة).

علم اللغة التقابلي وتعلّم تمييز الحروف:

¹ فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مقارنة في أسس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أشغال الندوة الدولية ديداكتيك التعدد اللغوي تعليم وتعلم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، 27-28/11/2012. منشورات التدريس 2015.

² للمزيد انظر: بسمة أحمد صدقي الدجاني، معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها: القابلية والتمكّن، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العملي بالجامعة الأردنية، المجلد 40، العدد 2، 2014.

ما مع

أن عن

ص: صد وف

س: سد وف

ساعة صعب

قميص

خميس

ه: هرم

ح: حرم

حلال هلال

لوح وجه

ك: كلب

ق: قلب

فقر فخر

ر اقب ركب

ط: طين

ت: تين

بيت حيط

قتال قطار

ض: ضرب

د: درب

برد بيض

فرد فرض

خ : خَيْمَة غ : غَيْمَة

خِزَانَة غَسَالَة

رَخِيص رَغِيْف

ث : ثَلَاثَة ذ : ذَهَب ظ : ظَاْفِر

لِيْث تَلْمِيْذ مَحَاْفِظ

ا : مَاء سَمَاء وَرَاء الزَّرْقَاء

صَحْرَاء شِتَاء الثُّلَاثَاء بَيْضَاء

أ، و، ي: سَأَلَ سَأَلَ سَأَلَ أَسْئَلَة

أ، آ، إ، ا، ي: أَب آلَة إِنْ ابْن إِلَى

ال : الْجَامِعَة الْمَجَلَّة الْكِتَاب اللُّغَة الْعَرَبِيَّة

الصَّف الطَّالِب السِّيَّارَة الرِّحْلَة الطَّرِيْق

يساعد هذا التمرين على إدراك المتعلم لصوت الحروف مركبة، وبالتدريب على استخدامها في جملٍ متمثلاً رسمها فيقتنع باختلافها، وتكرارها تحفّ درجة الالتباس عند سماعها. فيصل طلاب المستوى المتقدم لمرحلة تمييز صوت الحرف من خلال معنى الكلمة وربطه بسياقها في الجملة والموضوع. وللوصول إلى مرحلة إتقان متعلم العربية التمييز بين الحروف أجمع الطلاب في الاستبيان على ضرورة الاستماع بتركيز إلى مخارج الأصوات لتمييزها، والأفضل لهم دائماً الاستناد إلى سياق الكلمة في الجملة لاستيعاب مدلولها. كما أشاروا إلى أهمية بيان المتحدّث وفصاحته في الحديث، لاسيما من أبناء اللغة، فكلّما حرص المتحدّث على إصدار صوت الحرف واضحاً وإعطائه حقه اللفظي، تيسّر لهم فهم المعنى

ومتابعة الكلام.¹ واتفقوا على أن التدرّب اليومي على مهارة الاستماع من أنجح الوسائل للوصول إلى درجة الإتقان في فهم الكلمة ومعرفة حروفها عن ظهر قلب. والملاحظ في إجاباتهم استمرارية الإشكالية أحياناً بسبب تأثير اللغة الأم: مثل حرف "ر" و "ل" لدى طلاب الشرق الأقصى، حيث لا يوجد في اللغات اليابانية والكورية والصينية حرف "ر". وقد نجح ثلاثة عشر طالباً وطالبة أي نصف عينة الاستبيان في تمييز حرفي الألف والعين في المفردات التي سمعوها من المعلم بشكل واضح، وكذلك استطاع أكثر من نصفهم كتابة الهمزة في وسط الكلمة وفي نهايتها بشكل صحيح. وأخطأ ثلثهم فقط في حرف الضاد وكتبوه دالاً. وتميّزت كتابة الجُمْل بضمط أصوات الحروف، وهناك أخطاء في إهمال ألف واو الجماعة، وإضافة أل التعريف إلى المضاف، واستبدال واحد فقط للهاء بالحاء.

ومن ملاحظاتهم حول بعض مُشكلات تعلّم الحروف في تعلّمهم للعربيّة:

- "تغيّر طريقة كتابة الحرف حسب موقعه في الكلمة سواء في أول الكلمة أم منتصفها أم آخرها".
- "أصعب مرحلة كانت تركيب الحروف مثلاً: لم" بدلا من "لم"، أو "نحن" بدلاً من "نحن".
- "صعوبة في كتابة الهمزة وعلامات الترقيم، والتمييز بين الألف الممدودة والمقصورة".
- "أماكن الهمزات وكتابة الألف المقصورة أو الممدودة".
- "الكتابة صعبة لأنها تختلف عن كتابة لغتي فتبدأ من اليمين إلى الشمال، واختلاف نطق الحركات وكتابة حروف المد".
- "مشكلة كلمات قليلة استثنائية لأنها تُكتب مختلفة عن قراءتها، ونفس المشكلات من المحادثة: نحتاج إلى حرف بعد الفعل أو شكل صحيح نسبة إلى النحو". (أي حروف المعاني)
- "أجد صعوبات في الشكل واللفظ والمجاز، لأن هذه الصعوبات مختلفة جداً عن الكتابة اليابانية".²

¹ عند الاستماع إلى عدد كبير من أبناء اللغة العربيّة، يُلاحظ سرعتهم الزائدة في نطق المفردات فلا يأخذ الحرف صوته كاملاً، وتتداخل الحروف، فيفقد المستمع، وخاصةً من متعلّمي العربيّة لغة ثانية، القدرة على متابعة الحديث.

² كتبت الطالبة اليابانية المتحدّثة في المستوى المتقدم كلمة مختلفة (مخترفة) لأن حرف اللام غير موجود في اللغة اليابانية، وهي ظاهرة إشكالية عامة بين أبناء تلك اللغة.

- " صعوبتي أن أعبّر عن فكرة بالمفردات التي تعلّمتها ولكن بأسلوب غير صحيح، وأشعر بحاجز كلّما أكتب، وألجأ دائماً إلى القاموس لأستخرج منه الجُمْل، فأجد صعوبة في الكتابة السريعة ".
 - " لا أستطيع أن أكتب باستخدام مفردت كثيراً، توجد المفردات التي أعرف ولكني لا أستطيع أن أستخدمها، أخطئ كثيراً في حرف الجر، وموضوع معرفة ونكرة "¹.
 - " مشكلتي مع الإملاء بشكل كبير وخاصة المهمزة والتنوين ".
 وقد عبّر الطلاب في الاستبيان عن قدراتهم في تمييز الحروف العربيّة وخاصة المتشابهة منها مع الممارسة والتدريب الكافي، وقد أثبت تمرين الإملاء ذلك بالفعل. ومما سجّلوه:
 - " أجد صعوبة فقط بين (س، ص)، (ت، ط)، (د، ض)، لكن عندما أعرف الكلمة لا أجد مشكلة، وفي رأيي الشيء الذي يساعد أكثر على التمييز هو الممارسة اليوميّة في الشوارع مع العرب ".
 - " أميّز بين الحروف بأن أضعها في سياق الكلام لأفهمها، والتشابه دائماً مشوش خاصة بين حروف (ر، ل)، (غ، خ) فيسبّب سوء الفهم ".
 - " إذا درسنا الفرق بين الحروف المتشابهة بشكل جيد فسنفهم المعنى بشكل أسهل، وسياق الجملة يساعدني على فهم معنى الكلمة والتمييز بين الحروف المتشابهة ".
 - " عموماً أسمع في كلمة ما حرف واحد أقوى فأبحث عن الجذر، ولكل كلمة في اللغة العربيّة معان كثيرة، ومستحيل بالنسبة لي أن أفهم الكلمة دون سياق الجملة ".

فيبدأ مُتعلّم اللغة العربيّة من الناطقين بلغات أخرى رحلته الاستكشافيّة لعالم هذه اللغة الجديدة وثقافتها باستيعاب أصواتها وتقريبها لأصواتٍ يألّفها من خلال مهارة الاستماع. فالسمع أبو الملكات كما أطلق عليه ابن خلدون في مُقدّمته². ثم تلعب الطبيعة الإنسانيّة دورها في التعلّم من خلال التقليد،

¹ للمزيد عن أخطاء المعرفة والنكرة انظر: حاجة رفيزة بنت حاج عبد الله وبسمة أحمد صدقي الدجاني، أخطاء الطلبة البروناويين في استعمال التعريف والتذكير في اللغة العربية: دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قبول نشر في 2016 /6/9.

² ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث الإسلامي، ص 546

فالإنسان يُرَدِّد ما يسمع، ويُحاكي ما يستمع إليه¹. وقد أثبتت دراسات لُغويّة لسانيّة علميّة أن طبيعة الإنسان السليم تؤهّله لنطق الأصوات كافّة، فعليه تعلّم كيفية نطقها بعد سماعها بالتدرّب عليها وتكرارها حتى يعتادها.² ويكون نطق الأصوات الأمثل في صورة اللفظ المركّب واستيعاب معناه ومدلوله حتى تستقر صورته في الذهن مع إصدار الصوت. وفي هذا عودة لقول ابن خلدون:³ "حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال".

وهذه أمثلة تُبرز فائدة الدراسات التقابليّة بين اللغات: ففي اللغة الإنجليزية مثلاً أصوات متشابهة بين عدد من الحروف: K و f / c و s / ph و ce . هذا وقد أثبتت بعض الدراسات اللسانية وجود أصوات حروف عربيّة تُقابلها أصوات حروف متشابهة في الإنجليزية دون رموز شكلية مستقلة، مثل:

صوت حرف "ص" في كلمات باللغة الإنجليزية: subway
وصوت حرف "ض" في كلمات باللغة الإنجليزية⁴: double و dull و done وهناك اختلاف بين صوتي die و day

وصوت حرف "ظ" في كلمات باللغة الإنجليزية: mother و father و although
ويتشابه صوت حرف "ذ" في اللغة الإنجليزية في كلمتي there و their وإن اختلفت أحرفهما.
وكذلك يتشابه صوت حرف "ث" في اللغة الإنجليزية في كلمات: three و thunder .

وقد تحدّث الجاحظ في القرن الثالث الهجري عن اللغات الخاصّة واللهجات موضّحاً ك يف أن لكلّ لغة حروفٌ تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين، واستعمال الجرمة للعين. كما قال

¹ تجربة إنسان الغابة نموذج في التواصل بين مخلوقين مختلفين في القدرات بالاعتماد على محاكاة الأصوات الغالبة. وهذا ما صوّره ابن طفيل في قصته الإبداعية "حي بن يقظان" في القرن السادس الهجري.

² سمير شريف استيتية: محاضرة حول دراسة تقابلية بين أصوات حروف اللغتين العربية والإنجليزية.

³ ابن خلدون، المقدّمة، ص 561.

⁴ يرى كمال بشر في كتابه "دراسات في علم اللغة" أن صوت الضاد الشبيه في اللغة الإنجليزية ليست له قيمة الضاد العربية، فـصوت الضاد يأتي في رأيه في قمة السمات الصوتية التي تنفرد به اللغة العربية. ص 198.

الأصمعي: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال¹. وكان ابن سينا في القرن الخامس الهجري سبّاقاً بتخصيص فصل في رسالته التفسيرية في أسباب حدوث الحروف للحروف الشبيهة وليست في لغة العرب، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تُشبه بعض الحروف العربية مثل: G، V، P². وهناك رأي بوجود بعض هذه الحروف في لهجات عربية قديمة³.

ائتلاف الحروف وتنافرها في دراسات لغوية عربية

و عن ائتلاف الحروف وتنافرها في نسج الكلمة العربية، نستفيد مما ورد في دراسة "إسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية"⁴: "سبق الأقدمون من علماء العربية إلى دراسة أحكام نسج الكلمة العربية، وذلك قادراً متفاوتاً من قوانين اقتران الحروف وتنافرها في الثنائيات، وأرجعوا علّة ائتلاف الحروف أو اقترانها أو مزجها إلى تباعد مخارج الحروف، وعلّة تنافر الحروف إلى قرب مخارجها، فالأولى تجعل التأليف حسناً، والثانية تجعله قبيحاً أو ممتنعاً. ويُعدُّ الكندي (ت 256 هـ) أسبق أهل التعمية في ذلك، وأكثرهم استقصاءً، فقد شرح في رسالته القواعد الأساسية في تحديد ما يقترن من الحروف وما لا يقترن، فقسّم الحروف إلى أصلية (16) حرفاً، ومتغيّرة زائدة (12 حرفاً). ثم شرح قوانين التنافر مقصورةً على الحروف الأصلية مع السين من المتغيرة، ويستعرضها حرفاً حرفاً على الترتيب الهجائي، فيذكر مع كل حرف ما لا يقارنه من الحروف فاجتمع له من حالات التنافر أو قوانينه (94 حالة)، ولا نعلم أحداً سبقه إلى مثل ذلك".

¹ يوهان فك، "العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب" ترجمة" رمضان عبد التواب، ص 119.

² ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان طيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1983، ص 86.

³ فهد خليل زايد، المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربية، دار الصفوة للنشر والتوزيع، عمّان، 2011، ص 48.

⁴ يحيى مير علم، ص 23، 24، 26.

ولقد أدرك علماء العربية خاصية " توزيع الأصوات على مدارج النطق في لغتهم بحيث تجيء الأصوات المؤلفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية من الثقل، ليس بينها تنافر يؤدي السمع، أو عدم انسجام يُفقدتها حلاوة النغم وحسن التلقي والقبول. فوضعوا ما يُشبهه أن يكون قواعد صوتية لما ينبغي أن يكون عليه تأليف الكلمة من أصوات. مثال: قرروا أن العربية تتجنب جمع (الزاي مع الظاء، والسين، والصاد، والذال) وجمع (الجيم مع القاف، والطاء، والظاء، والغين، والصاد) وجمع (الحاء مع الهاء) ووقوع الهاء قبل العين، والحاء قبل الهاء " ¹. وقال الجاحظ (ت 255 هـ) في البيان والتبيين: ² " ومن صفات اللفظ الفصيح توافق الحروف ضمن الكلمة الواحدة. وهناك حروف لا تجتمع، فالجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير. والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير. وتتضمن الفصاحة أيضا عدم تنافر الكلمات ضمن الجملة الواحدة. وإذا تنافرت الألفاظ صعب النطق بها وبدت غير متلائمة وغير متوافقة. من ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فقد رأى الكثيرون أن أحداً لا يستطيع إنشاد هذا البيت ثلاثة مرات متتالية "

وألف ابن جني (ت 392 هـ) كتابه سر صناعة الإعراب ليشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب. فخصّص فصلاً في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك، وما يمتنع، وما يحسن، وما يقبح، وما يصح: " وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف (المتقاربة)، فمتى تجاوزا مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا". ³

¹ كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص 196.

² الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، ص 16.

³ أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الجزء الثاني، ص 812.

وفي تعليم العربيّة للناطقين بغيرها تتدرج مشكلة تنافر الحروف بين حروف المباني (الحروف الهجائية التي تتكون منها الكلمات: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، ...). في أحاديث الطلاب وكتابتهم في المستوى المبتدئ فالمتوسط فالمتقدم، لتكون بارزة في بداية تعلّمهم، ولا تلبث أن تحفّ مع تقدّمهم الدراسي للغة ومهاراتها. وتزيد مشكلة تنافر الحروف في استخدامات حروف المعاني (حروف الجر: الباء، اللام، الكاف، من، إلى، في، على، عن، ...) بشكل أوضح من تنافر حروف المباني، حيث يختلف معنى الكلام باختلاف الحرف الرابط في الجملة.

وكان العالم اللغوي أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت 388 هـ) كتب رسالة في منازل الحروف، ذهب فيها إلى حصر طائفة من حروف المعاني وبيان أغراضها مع ذكر شواهد ما ورد في كلام العرب وأشعارهم. وبدأها الرماني باللامات وذكر منها اثنتا عشرة وهي: لام الابتداء، ولام القسم، ولام الإضافة، ثم انتقل إلى "الألفات"، فقال إنها إحدى عشرة، ثم "الباءات"، وما ورد في "ما" ووجوهها، و"من" وأحوالها، و"أن" المخففة، و"إن" المخففة المكسورة الهمزة، والفرق بين "إن" و"أن".

فاستيعاب متعلّم العربيّة لغة ثانية لأهميّة حروف الجر مع الأفعال تمثّل مرحلة أساسيّة في الوصول إلى الكفاية اللغويّة، وإن كان المعنى المقصود واضحاً في حديثه وكتابه. وكذلك استيعابه لأهميّة "أل التعريف" مع الصفات المعرّفة، ومع الإضافة. والفرق بين "الباء" و"في". والفرق بين "اللام السببية" و"بسبب". وهذه بعض نماذج إجابات الطلبة في الاستبيان كما وردت:

- "الأستاذ خرج الصف لطباعة الورقة".

- "سافرت إلى هنا لدراسة لغة العربية".

- "علّمتُ بأمي".

- " لم أدرس الكتابة أو التحدّث أو نطق في الجامعتنا، والآن أنا أدرس هذه مهارات " .

- " سافرت للأردن للمنحة الدراسية " . " أنا مبعوث بالحكومة " .

- " علّمتني أستاذتي كل شيء الذي أعرفه عن الأدب " .

- " أريد أن أسافر على العالم كله " .

وصول مُتعلّم العربيّة لدرجة البيان في المحادثة والكتابة:

يقول الفارابي في كتابه "الحروف": " يُرى أن يُحدث صناعة علم اللسان قليلاً قليلاً بأن يتشوّق إنسان إلى أن يحفظ ألفاظهم المفردة بعد أن يحفظ الأشعار والحُطْب والأقاويل المركّبة، فيتحرّى أن يفردّها بعد التركيب، أو أراد التقاطها بالسماع من جماعتهم ومن المشهورين باستعمال الأفصح من ألفاظهم ... فنقول إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكّنت عاداتهم لهم على طول الزّمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكّناً يحصّنون به عن تحيّل حروف سوى حروفهم والنّطق بها، وعن تحصيل ألفاظ سوى المركّبة عن حروفهم، وعن النّطق بها " ¹.

ومن هنا فإن الطريقة الأفضل لمتعلّم العربيّة من الناطقين بغيرها أن يتعرّف إلى الحرف من خلال الكلمة، ثم يستوعب معنى الكلمة في سياقها في جملة قصيرة، ليُميّز تدريجياً المعنى والمدلول رابطاً في ذهنه الصّوت بالرمز والشّكل من خلال مهارتي الاستماع والقراءة خاصّةً.

فعند تعلّم كلمة جديدة، يجب على الطالب استيضاح معناها ومدلولها ومن ثمّ استخدامها في سياقات متعدّدة في جمل قصيرة من خلال مهارتي المحادثة والكتابة خاصّةً. والحفظ في تعلّم اللغات واكتسابها سيّد الأساليب، ويتأتى ذلك بممارسة القراءة باللغة الهدف وتنوّع المادة من نُصوص أدبيّة كتبت لأبناء اللغة، والواجب الكتابي اليومي، والتعبير عن الذات بها للتواصل والتفاعل. وفي البيان والتبيين ذكر الجاحظ ما

¹ الفارابي، كتاب الحروف، ص 145.

سمعه عن أبي مسلم يقول¹: " سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ".

وهذه أمثلة لمنهجية أتبعها في تقديم المدلول المعنوي للكلمة بحروفها المؤتلفة من خلال السياق:

سارت الأمور بسرعة / صارت الأمور مُعقّدة
حرف في وسط الكلمة / حَرَفَ الكلم عن مواضعه
سلك طريقاً / هاتف لا سلكي / رفع السلك
شَقَّ طريقه / شَقَّة جديدة في الطريق
صاحب الفكرة / صحبه إلى المطعم / سحب أوراقه /
قلّده وسام الاستحقاق / راقب الممثل ذلك الشخص ثم قلّده.
قُلْ كلمتك / كُنْ خُبزتك / كُلْ كُلَّ طعامك
قَبِلَ القرار / قَبِلَ فوات الأوان / قُبِلَ في الوظيفة / قَبِلَ أمّه / قابلَ أصدقاءه /

أهميّة الحركات في إبراز الحروف

سُئِلَ أحدهم: مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ؟ قال: مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ.²

تتماز اللغة العربيّة بكونها اللغة الصامدة وسط لغات العالم في عصرنا الراهن بفضل حروفها، فبمعرفة الحروف العربيّة صوتاً وشكلاً يُمكن قراءة ما كُتِبَ ودُوِّنَ منذ ألف وخمسمائة عام. والحركات التي كتبها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري؛ الفتحة والضمة والكسرة، ورَمَزَ السّكون، لا زلنا نستعملها ونحتاجها. وفي الحركات قال ابن جني: " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو. فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث. وإنما سُمِّيَت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تعلّق الحرف الذي تقترن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها. فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجذبه نحو الياء، والضمة تجذبه نحو الواو".³ أمّا عن ظاهرة رمز

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ص 61.

² حكمة متداولة.

³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص 19، ص 30.

"السكون" فيجب إيصال قيمتها الوظيفية لمتعلمي العربية، فهي تُميّز الحرف الخالي من الحركات الثلاث، وهذا التمييز له أهمية صوتية ونحوية، وللسكون وظيفة موسيقية.¹

فبقدر أهمية الحركات الدلالية لتوضيح المعنى بدقّة، بقدر ما تُضيف من خصوصية فنيّة جماليّة لشكل الحروف العربيّة. ومتعلّم العربيّة بشكل عام يحتاج لمشاهدة الحركات فوق الحروف ليُحسن القراءة، بقدر ما يحتاج لسماع أصواتها ليُحسن الاستيعاب، ولاسيما طلاب العربية من الناطقين باللغات الأخرى. فالبدء بتعلّم الحروف بصحبة الحركات والأشكال أثبت سرعة الأخذ بها وإتقانها. "وإذا كان كثيرٌ من أبناء العربية يتعثّرون في نطق الكلمات وفقاً للشكل الصحيح لبنيّتها اللغويّة فإنّه من غير المستهجن أن يقع متعلّمو العربيّة لغةً ثانية في كثير من هذه الأخطاء التي قد تنتقل بأداءهم اللغويّة من الصّحّة اللغويّة إلى الخطأ أو الخطأ الفاحش أحياناً. وهي أخطاء يمكن ملاحظتها في محورين اثنين: إنتاج الكتابة، والمحور الثاني: استهلاك الكتابة".²

وقد كانت هناك تجربة في منهاج الجامعة الأردنية قبل عقد ونصف لتقسيم الحروف دون الأشكال والحركات، فكان هناك تساؤل مستمر حول فروقات أصوات الحروف نفسها في كلمات مختلفة؛ مثال: دَرَسَ، دَرَسَ، دَرَسَ، دُرِسَ... فيسمعونها ويُحاولون تمييزها ولا يفهمون المنطق دون شرح وجود هذه الحركات والأشكال التي تغيّر مدلول الكلمة وإن تماثلت حروفها. وقام مؤلفو المنهاج بتطويره في الطبعة الثانية لتُقدّم الحركات والأشكال مع الحروف مباشرة، فتماشى الطلاب مع هذه الطريقة المباشرة بشكل أفضل.

وقد عبّر غالبية طلاب المستوى المتقدّم في الاستبيان عن اضطراهم للتفكير في جذر الكلمة ومن ثم مكانها في السياق وللكلمتين قبلها وبعدها ليفهموا المعنى بوضوح دون وجود الحركات، كما هو الحال في لغة كتب المناهج الدراسية، والصحف والروايات والقصص.

¹ كمال بشر، دراسات في علم اللغة: السكون في اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 176، 178.

² فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مقارنة في أسس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أشغال الندوة الدولية: ديداكتيك التعدد اللغوي تعليم وتعلم اللغات، جامعة محمد الخامس للرباط، كلية علوم التربية، 27-28/11/2012، منشورات التدريس، 2015.

ويتساءل عددٌ من متعلّمي العربيّة لغة ثانية عن سبب تحلّي غالبية أبناء اللغة العربيّة عن الحركات والأشكال في كتاباتهم الرسمية، وهي مما يميّز العربيّة كلغة اشتقاق، ومما يُضفي جمالاً في رسم الخطوط وتشكيلها؛ فالنص يُزيّن بالحركات والأشكال.

فتمثّل ضرورة الالتزام بوضع الحركات والأشكال لأنها تُجنّب المتعلّم تحريف الكلم عن مواضعه. ونستشهد بما أنشده العالم اللغوي ابن السكيت¹ صاحب كتاب الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها:

يُصابُ الفَتَى مِنْ عَشْرَةِ بِلْسَانِهِ وليس يُصاب المرءُ مِنْ عَشْرَةِ الرَّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهَبُ رَأْسُهُ وَعَثْرَتُهُ فِي الرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

خاتمة

كما هي الحروف في الكلم، وجه البيان والمعاني للتواصل باللغة، تتألف وتتنافر، كذلك الأرواح في الأجساد جُنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف². فالحروف وجه التفاعل الإنساني بأصواتها في مهارتي المحادثة والاستماع، وبرموزها في مهارتي الكتابة والقراءة. وبالحرف وحده لا تظهر الدلالة المعنوية، وإن كان الفراهيدي أطلق أسماء للحروف مستقلة، إلا أن الحرف وحده يُضفي معنى جوهرياً للكلمة بائتلافه مع حرف آخر أو أكثر، ومع الحركة الملازمة له أو ساكناً. وللحروف العربيّة قُدسية صبغتها ارتباطها بالنصّ السماوي والكتاب المحفوظ³، وهو ما يدعو أبناءها لتقدير خصوصيتها ورفع شأنها بمزيد من الاهتمام بنطقها نطقاً سليماً، وبإعطاء كل حرف حقه في الكلمة، وبالعناية بكتابتها بأشكالها في رسم واضح وجميل، وبالإبداع في قراءتها قراءة تبرز أنغام أصواتها مع الحركات والسكون، وبالاستمتاع في الاستماع لألحانها على ألسنة مُتحدّثيها من أبناء العالمين. فالحروف سرٌّ من أسرار الخلود الإنساني، وبها نُعرف، وبها نتواصل، وبها نحفر إنجازاتنا لتُحدّث عتّا من يأتي بعدنا فيقرأ آثارنا.

¹ ابن السكيت (ت 244 هـ) إمام اللغة والنحو والأدب.

² حديث نبوي شريف.

³ افتتحت تسع وعشرون سورة في الكتاب الحكيم بحروف مقطّعة كآيات وكأجزاء آيات.

والدعوة ملحة اليوم إلى الاهتمام بتطوير منهجية مناهج تعليم العربية لكل من أبنائها وللناطقين بغيرها، وواجب على المتخصصين في العربية لغويًا واجتماعيًا وتربويًا وعلميًا تيسير اكتساب الجوانب الصوتية في تقديم اللغة بمفرداتها وتراكيبها، والاستفادة من هذا التقدم التكنولوجي بتوظيف الوسائل الحديثة داخل القاعة الصفية وخارجها، فالمنهج والمعلم والطالب تمثل الركائز الثلاثة الأساسية للعملية التعليمية¹.
فبإتقان متعلمي العربية للحروف بدايةً وربطها في مفردات فجمّل فقرات يصلون للكفاية المبتغاة في مهارات الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة.

ملحق:

أسئلة الاستبيان:

ما هي الصّعوبات التي واجهتك في تعلّم الكتابة العربيّة؟

كيف يُتقن مُتعلّم العربيّة الكتابة من خلال تجرّبتك؟

كيف تفهم المفردات دون حركاتها؟

هل تضع الحركات في كتابتك بالعربيّة؟

هل تعلّمت أشكال الحُطوط المتنوّعة بكتابة الحُرُوف العربيّة منذ بداية دراستك للعربيّة؟

كيف تميّز بين الحروف المتشابهة عند سماعها مثل: (س، ص) (ق، ك) (د، ض)؟

هل يُسبّب التشابه في أصوات بعض الحروف صُعوبة في فهم المعنى؟

هل يُساعد المنهاج الدّراسي على تمييز أصوات الحروف وضبط كتابتها؟

هل تقرأ الكلمة في سياق الجملة لتفهم معناها وتنطقها بشكلٍ صحيح؟

¹ للمزيد انظر: حمزة المسند وبسمة أحمد صدقي الدجاني، منهاج تعليم العربية للناطقين بغيرها: تعليم الأصوات أنموذجاً، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور الجلفة بالجزائر، العدد24، سبتمبر 2016.

كل يوم يُحضّرون واجباتهم ليتحاوروا مع زملائهم، ويتعلّمون مادّة جديدة.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- معجم الصحاح للجوهري.
- معجم لسان العرب.
- معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني.
- ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث.
- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشيخ الرئيس، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان طيّان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1983.
- أبو الحسن علي بن عيسى الرّمّاني، رسالتان في اللغة، حقّقهما وعلّق عليهما وقدم لهما إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، 1984.
- أبو الفتح عثمان بن جني، سرُّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985.
- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص.
- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حقّقه وقدم له وعلّق عليه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1969.
- أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب،
بسمّة أحمد صدقي الدجاني، معلّم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها: القابلية والتّمكّن، مجلة دراسات العلوم
الإنسانيّة والاجتماعيّة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنيّة، المجلد 40، العدد 2، 2013.
- تمام حسّان، جدوى استعمال التقابل في تعليم اللغة العربية لغير أبنائها. وقائع ندوات تعليم اللغة العربية
لغير الناطقين بها، الجزء الثاني، المدينة المنورة، 1401 هـ. ص 73 - 93.

الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.

حاجة رفيضة بنت حاج عبد الله وبسمة أحمد صدقي الدجاني، أخطاء الطلبة البروناويين في استعمال التعريف والتتكير في اللغة العربيّة: دراسة وصفية تحليلية. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مقبول للنشر في 2016.

حسن عباس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

حمزة المسند وبسمة أحمد صدقي الدجاني، منهاج تعليم العربيّة للناطقين بغيرها: تعليم الأصوات أنموذجاً، مجلة دراسات وأبحاث جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، العدد 24، سبتمبر 2016.

الخليل بن أحمد وابن السكيت والرازي، ثلاثة كتّاب في الحروف، حقّقه وقدم له وعلّق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1982.

رمضان عبد التواب، ثلاثة كتب في الحروف، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ف عبد الرحيم، أخطاء دارسي اللغة العربيّة في التطق، وقائع تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، الجزء الأوّل: المادّة اللغويّة، المدينة المنورة، 1401 هـ، ص 91 - 99.

فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مقارنة في أسس تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها، أعمال الندوة الدوليّة ديداكتيك التّعدّد اللغوي، تعليم وتعلّم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، 27 - 28 / 11 / 2012. ص 87 - 98.

فهد خليل زايد، المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربيّة إعرابها، ودلالاتها، مخارجها، دار الصفوة للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.

كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

Basma A. S. Dajani & Fatima M. A. Omari. A Critical Study of Three Textbooks for Teaching Arabic to Non-Native Speakers. Procedia- Social and Behavioral Sciences.